

ميدل إيست مونيتور: هل تشهد مجازر رابعة ورفح أن السياسي يفعل أكثر من مجرد مشاهدة الناس وهم يذبحون؟



نشر موقع ميدل إيست مونيتور مقالاً للكاتب إقبال جاسات ينتقد فيه الموقف المصري من المجازر التي ترتكبها دولة الاحتلال في غزة ويربطها بالانقلاب في مصر وبما حدث في مذبحه رابعة.

ويقول الكاتب إنه وفي حين يتفاعل العالم بقلق متزايد إزاء هدف بنيامين نتنياهو المعلن بتسوية رفح بالأرض، فإن الأضواء تتجه الآن إلى مصر. فهل ستقف القوة الإقليمية الكبيرة مكتوفة الأيدي بالسماح لإسرائيل بتكثيف أعمال الإبادة الجماعية المستمرة في غزة؛ وتنفيذ تهديدها بإلغاء معاهدة السلام مع دولة الاحتلال؛ أم التدخل لحماية الفلسطينيين؟

وتدرك السلطات في القاهرة أن خطط إسرائيل لإعادة الاستيطان في غزة، تتطلب تعاون مصر لاستيعاب اللاجئين الفلسطينيين في أجزاء من شبه جزيرة سيناء. وهذا يعني أن غزة سيجري تطهيرها عرقياً من 2.3 مليون فلسطيني واستبدالهم بمستوطنين يهود متعصبين.

ومع ذلك، فإن النقطة الشائكة هي رفح، حيث يعيش أكثر من مليون ونصف المليون فلسطيني، الذين أجبروا على إخلاء منازلهم قسراً في شمال غزة، في خيام وملاجئ مؤقتة، ويواجهون الموت بسبب الغارات الجوية المتواصلة والتجويع والتعطيش. علاوة على ذلك، أدت الحاجة الماسة إلى العلاج الطبي إلى تحويل غزة إلى أسوأ كارثة إنسانية شهدتها العالم على الإطلاق في العصر الحديث.

فكيف سترد مصر؟

ويرى الكاتب أن مصر اليوم في ظل الحكم العسكري القومي للجنرال عبد الفتاح السيسي بعيدة كل البعد عن القيادة الثورية للراحل الدكتور محمد مرسي. فخلال حقبة الربيع العربي المثيرة ولكن قصيرة العمر، تدفق عشرات الآلاف من المتظاهرين في جميع أنحاء القاهرة إلى ميدان التحرير مطالبين بإسقاط حسني مبارك وإنهاء حكمه الذي دام ثلاثين عاماً.

وفي أعقاب الثورة الشعبية ضد دكتاتوريته الوحشية، اضطر مبارك إلى التنحي. لقد شهدت فترة ملحمة بالفعل انتقال البلاد من الاستبداد إلى الديمقراطية عندما جرى انتخاب مرسي لقيادة مصر في أول انتخابات ديمقراطية حرة ونزيهة في البلاد.

الانقلاب على الديمقراطية

ووفقاً للكاتب، لم يرق هذا التغيير الدراماتيكي للقوى الغربية، التي بدأت سلسلة من الحيل القذرة للإطاحة بمرسي، على الرغم من فوزه بأغلبية انتخابية مريحة. وقد ظهر مثال كلاسيكي لتغيير النظام عندما تأمرت عدد من الدول للإطاحة به من خلال انقلاب عسكري دموي.

وكان المرشح لخلافة مرسي، الذي دفعته الولايات المتحدة وإسرائيل والإمارات العربية المتحدة والمملكة العربية السعودية، هو رئيس جهاز المخابرات سبي السمعة في مصر، السيسي، الذي كان مسؤولاً أيضاً عن الجيش المصري القوي. وفي مخطط مفصل، نُظِم التمرد ضد مرسي كمقدمة للانقلاب.

وكشفت التقارير لاحقاً أن الثورة المضادة مولتها حكومة الإمارات العربية المتحدة. وكانت هذه الأنظمة تشترك في هواجس مشتركة بشأن علاقات مرسي بالإخوان المسلمين، وكانت تكره أن تكون أقوى دولة قومية في العالم العربي في أيدي الحركة. وأفاد معهد تشاتام هاوس أن التسجيلات المسربة من وزارة الدفاع المصرية وشهادات سرية من مسؤولين أمريكيين أشارت بأصابع الاتهام إلى الإمارات العربية المتحدة على أنها قدمت أموالاً لدعم نشاط تمرد، الحركة التي نظمت التمرد ضد مرسي.

وبمجرد أن أطاح السيسي بمرسي، لم تبذل المملكة العربية السعودية والإمارات العربية المتحدة أي جهد لإخفاء موافقتهم. وقد أظهر كل من الأوليغارشيين المدعومين من الغرب دعمهم بسعادة من خلال تحويل مبالغ ضخمة من المال إلى مصر. وكانت دولة الإمارات العربية المتحدة منفتحة وصريحة بشأن دعمها.

وترأس ولي عهد الإمارات العربية المتحدة محمد بن زايد وفداً إلى القاهرة تضامناً مع قائد الانقلاب السيسي بعد أقل من أسبوعين على فظاعة مذبحه رابعة العدوية التي راح ضحيتها ألف مواطن مصري على يد الأجهزة الأمنية. وتعد كواليس المذبحة موثقة جيداً.

وذكرت قناة الجزيرة أن عشرات الآلاف من المصريين خرجوا إلى الشوارع وميادين المدينة للمطالبة بإعادة مرسي إلى منصبه. وفي 14 أغسطس 2013، مع دخول الاحتجاجات أسبوعها السادس على التوالي، نظم الآلاف اعتصاماً في ميدان رابعة العدوية، أحد أكثر شوارع القاهرة ازدحاماً، كما كانوا يفعلون منذ أكثر من شهر.

وتحركت قوات السيسي باستخدام المدرعات والجرافات، بالإضافة إلى القوات البرية والقناصة على أسطح المنازل بالذخيرة الحية. وذكرت الجزيرة أن المسلحين أطلقوا النار من جميع الجهات وأغلقوا جميع المخارج الآمنة للميدان، بحسب شهود عيان ومنظمات حقوقية.

وسُجن الرئيس المنتخب مرسي وتوفي بعد ذلك خلف القضبان. وفي الوقت نفسه، ظل سيد الانقلاب السيسي في السلطة منذ ما يزيد قليلاً عن عقد من الزمن. لم يُحاسب أحد على مذبحه رابعة. وعلى العكس من ذلك، ظل السيسي ثابتاً في إظهار أنه لا يهتم بحقوق الإنسان؛ وسجله سبي للغاية، إذ يوجد عشرات الآلاف من السجناء السياسيين والمحاکمات السورية. وهذا لا يبشر بالخير لأي أمل في أنه قد يسعى إلى ردع هجوم الإبادة الجماعية الذي يشنه نتنياهو على مدينة رفح.

سوف تكتمل دوامة الطاغية المصري بينما يجلس ويستمر في مشاهدة ذبح الآلاف من الفلسطينيين الأبرياء مع اشتداد الإبادة الجماعية في غزة. ولن يُمنح الجيش المصري والقوات الجوية والبحرية الفرصة لاستعراض عضلاته. ومثل نظرائهم الإسرائيليين، فإنهم في المذابح من رابعة إلى رفح لا يجيدون إلا قتل المدنيين العزل.